

الحياة البرزخية بين المثبتين والنافيين

الدكتورة

ليلى سليمان علي بكر

مدرس العقيدة والفلسفة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

الحياة البرزخية بين المثبتين والنافيين

د. ليلي سليمان علي بكر

مقدمة

الحمد لله الذي قصم بالموت رؤوس الجبابرة وجعل القبر أول منازل الآخرة ، والصلاة والسلام علي خاتم النبيين والمرسلين وعلي آله وصحبه والتابعين بإحسان إلي يوم الدين الذين أعدوا للأمر عدته، وأخذوا له أهبتة فأكثرُوا من العبادة والذكر.

وبعد

فلما كان في ذكر الحياة البرزخية فائدة للمكلفين "لأنهم متي علموا أنهم أن أقدموا علي المقبحات وأخلوا بالواجبات عَجَلَّ لهم العذاب فعذبوا في القبر ثم بعد ذلك في نار جهنم كان ذلك صارفاً لهم عن القبائح داعياً إلي الواجبات" (١) خاصة في هذا العصر الذي طغت فيه المادة وانشغل الناس بمفاتن الحياة وزخارفها عن ذكر الموت وما يليه من حياة برزخية حيث ضمة القبر وسؤال الملكين وما يحدث بعدهما من نعيم أو عذاب وهذا كان سبب اختياري للكتابة في هذا الموضوع الذي قسمته إلي مقدمة وثلاثة مباحث. تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم الموت وأنواعه باعتباره البداية والمقدمة للحياة البرزخية، وحكم منكره

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٣، ٧٣٢ القاضي عبد الجبار بن أحمد ت عبد الكريم عثمان تعليق الإمام الحسين بن أبي هاشم، ط مكتبة وهبه ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

بالمعنى الذي قرره القرآن الكريم، وعن مذاهب العلماء في مسألة أجل المقتول، وكذا مذاهبهم في مسألة من يتولى قبض الأرواح .

أما المبحث الثاني: فتحدثت فيه عن مفهوم حياة البرزخ، وضغطة القبر، وسؤال الملكين والمستثنون منه.

كما تحدثت في المبحث الثالث عن الآراء في ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وعن الأسباب المنجية منه واختلاف المتكلمين حول إعادة الروح إلى الجسد في القبر ثم عن الحكمة في عدم سماع الإنسان لعذاب القبر.

المبحث الأول

مفهوم الموت

لاشك أن الموت هو المقدمة للحياة البرزخية، فالحياة البرزخية لا تكون إلا بعد الموت ، ولما كان الأمر كذلك فينبغي علينا قبل أن نتكلم عن هذه الحياة أن نبدأ بتعريف الموت.

فالموت في اللغة : "يطلق علي السكوت، فكل ما سكن فقد مات يقال : ماتت الخمر إذا سكن غليانها، وفي حديث دعاء الانتباه "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور"^(١) وسمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل والحركة، والموت والموتان ضد الحياة يقال : مات الحي موتاً إذا فارقتة الحياة كما يطلق أيضاً علي الحزن والخوف مثل قوله تعالى ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾^(٢) والموت من الأرض هي الأرض التي لم تزرع ولم يجز عليها ملك لأحد يقال : صارت الأرض مواتاً إذا خلت من العمارة والسكان والزرع.^(٣)

(١) صحيح البخاري كتاب الاستئذان - باب ما يقول إذا نام ح ٥٩٥٣ ، وصحيح مسلم - باب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ

المضجع، ح ٢٧١١

(٢) سورة إبراهيم :آية/١٧.

(٣) انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة موت ، ج ٦ ص ٤٢٩٦ ط دار المعارف ،

المصباح المنير في غريب الثرح الكبير لأبي العباس أحمد بن علي المقرئ الفيومي،

ت عبد العظيم الشناوي ط. دار المعرفة ط. ٢ .

المفهوم الاصطلاحي للموت :

اختلفت التعريفات الاصطلاحية للموت تبعاً لاختلاف معتقد أصحابها ، فالمادييين أو الملحدين يقولون أن الموت " هو العدم وأنه لا حشر ولا عاقبة للخير والشر ، وإن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النيات " (١) .

وقد رفض أصحاب هذا الاتجاه القول بوجود روح منفصل عن الجسم ومن ثم أرجعوا حدوث الموت إلى أسباب مادية منها:

١ - أن سبب الموت هو فقدان الجسم لفاعليته ، أو انتهاء عمل الأجزاء التركيبية ، أو تجمد الأنسجة العصبية ، أو حلول المواد الزلالية القليلة الحركة محل الكثير الحركة " (٢) .

وقد ناقش الأستاذ وحيد الدين خان هذه الأسباب التي ذكرها مناقشة علمية بين فيها خطأ رأيهم ومنها قوله: " يدعي بعض العلماء أن الأنسجة العصبية هي سبب الموت؛ لأنها تبقى في الجسم إلى آخر الحياة ولا تتجدد، ولو صح هذا التفسير القائل بأن النظام العصبي هو نقطة الضعف في الجسم الإنساني فمن الممكن أن نزع أن أي جسم خال من النظام العصبي لا بد أن يحيا عمراً أطول من الأجسام ذات النظام العصبي ، ولكن المشاهدة العلمية لا

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٤ ص ٤٧٧ ط. مكتبة زهران - القاهرة .

(٢) الإسلام يتحدى ، أ/ وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الدين خان ص ٧٣ ط ٤ -

المختار الإسلامي القاهرة ١٩٧٣ م .

تؤيدنا ؛ لأن هذا النظام العصبي لا يوجد مثلاً في الأشجار وبعضها يعيش لأطول مدة، وشجرة القمح التي لا يوجد بها هذا النظام العصبي لا تعيش أكثر من سنة ، وليس في كائن " الأميبا " جهاز عصبي ومع ذلك لا تبقى على قيد الحياة أكثر من نصف ساعة. هذا على فرض أن الأنسجة العصبية هي نقطة الضعف في الجسم الإنساني وكلما كانت ضعيفة أو من نسل أقل كانت عرضة للعمر القصير ، وقد بان فساده عليماً ، أما على فرض أنه كلما كانت الأنسجة العصبية موجودة في كائن ما بشكل أجود وأكمل كانت فرصة العمر أطول من تلك التي هي أصغر نسلًا ونظاماً فإن الحقائق العلمية لا تؤيد هذا أيضاً ؛ لأن السلحفاة والتمساح وسمكة تاتيكا أطول عمراً من أي حيوان آخر وكلها من النوع الثاني صغير النسل وضعيف النظام " (١) .

أما قولهم إن الموت هو فقدان الجسم لفاعليته بناءً على أن الجسم الإنساني كأى شيء مادي آخر، فالأقمشة مثلاً، والآلات الحديدية والمصنوعات الجلدية وغيرها " تفقد فاعليتها بعد أجل محدد فكذاك أجسامنا تبلى وتفقد فاعليتها " (٢) .

فالجواب عليه هو ما ذكره الأستاذ وحيد الله خان بقوله : " إن العلم الحديث لا يؤيد ذلك ؛ لأن المشاهدة العلمية للجسم الإنساني تؤكد أنه ليس كالجلود الحيوانية والآلات الحديدية .. وأن أقرب شيء يمكن أن يشبه به

(١) الإسلام يتحدى ص ٧٣، ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٩٢ .

الجسم الإنساني هو النهر الجاري منذ آلاف السنين الذي لا يستطيع أي إنسان أن يصفه بالوهن أو البلاء أو العجز .

فخلال أجسامنا في تجدد دائم ومستمر طوال الحياة ، وكذلك دمائنا تتجدد كلياً خلال أربع سنوات ، ومن ثم تبطل هذه النظريات التي تقول بأن علة الموت هي ضعف الجسم وفقده لقوته " (١) .

٢ - القائلون بالموت البدني والبعث الروحاني :

وهؤلاء يقولون إن الموت يقع على البدن فقط ، وإن الروح باقية لا تنعدم بالموت ، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد ، وأن الأجساد لا تتبع ولا تحشر أصلاً " (٢) .

وهذا هو قول أكثر الفلاسفة الإلهيين الذين رأوا أن الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة المجردة ، وإن البدن آلة لهذا النفس تستعمله وتتصرف فيه لاستكمال جوهرها ، فالنفس الناطقة لا تقبل الفناء أي العدم بعد وجودها ؛ لأنها بسيطة" (٣) وحجتهم في ذلك أنهم لا يملكون القول البرهاني بالمعاد البدني ؛ لأن الحكم عندهم للعقل في المقام الأول ولذلك نجدهم يقولون : إن العقل عاجز عن إقامة الدليل على هذا النوع ، أما المعاد الروحي ففضلاً على

(١) انظر المرجع السابق ص ٩٣ .

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٧ .

(٣) الفلسفة الإسلامية في المشرق د. فيصل بدير عون ص ٢٣٧ .

أن الشريعة أثبتته وأكدته فإن العقل بوسعه أن يقيم الأدلة التي تؤكد وجوده وحقيقته " (١) .

وهذا ظن فاسد ومائل عن الحق إذ القرآن الكريم قد أثبت أن البعث يقع على الروح والجسد معاً وإلا فكيف تفسر شهادة الحواس والأعضاء على صاحبها في الآخرة .

قال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (٢) .

المفهوم الاصطلاحي للموت عند المتكلمين:

" تصور الديانات السماوية الموت على أنه إشارة البدء إلى رحلة طويلة ينتقل فيها الإنسان من هذه الدنيا إلى عالم الخلود حيث يجازي كل إنسان هناك بما عمل من خير أو شر وليس من خلاف بين الديانات السماوية كلها في تقرير هذه الحقيقة، وتوكيدها وتكاد تكون دعوة الرسل - بعد الدعوة إلى الإيمان بالله. منحصرة في توجيه الناس إلى الإيمان بما بعد الموت ، والإعداد له " (٣). وحسبنا هنا أن نعرض بعضاً من آراء المتكلمين في هذا الموضوع ويتجلى ذلك فيما يأتي :

(١) مذاهب فلاسفة المشرق د. عاطف العراقي ص ٢٧٩ ط. دار المعارف .

(٢) سورة القيامة الآيتان ٣ ، ٤ .

(٣) الله والإنسان ص ٢١٧ ، عبد الكريم الخطيب ط. دار الفكر العربي .

١ - عرف أكثر أهل السنة الموت بأنه " صفة وجودية قائمة بالميت يمكن رؤيتها تمنع اتصافه بالإدراك وعلى هذا فالتقابل بين الحياة والموت من تقابل الضدين " (١).

يقول الإمام الأشعري: إنه " كيفية أي صفة وجودية تضاد الحياة فالتقابل بينهما تقابل التضاد (٢).

يقول الإمام الرازي: " قال أصحابنا : أنه صفة وجودية مضادة للحياة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ (٣). والعدم لا يكون مخلوقاً " (٤). فخلق الشيء إيجاده وقد وقع الخلق على الموت وعلى الحياة معاً فهما أمران وجوديان.... كما أن الموت في الآية ضد الحياة والحياة أمر وجودي لأنها حركة وحس ونماء وكلها أمور وجودية.

وهذا التعريف يتوافق مع رأي الجرجاني في قوله إن الموت هو: " صفة وجودية خلقت ضد الحياة " (٥).

(١) حاشية على شرح أم البراهين محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ص ١٤٢ ط. الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

(٢) تحفة المريد على جوهر التوحيد للشيخ إبراهيم بن أحمد البيجوري ص ٩٩ طبعة مصطفى الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

(٣) سورة الملك آية ٢ .

(٤) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام أبي بكر الرازي ج ٣ ص ١٠٠ ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٥) التعريفات للجرجاني على بن محمد بن علي ت. إبراهيم الإياري ط. دار الكتاب العربي ط ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

وذهب الإسفراييني من أهل السنة والزمخشري من المعتزلة إلى أن الموت أمر عديم وعرفاه بأنه : عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة " (١).

يقول الزمخشري : " الحياة ما يصح لوجوده الإحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حياً وهو الذي يصح منه أن يعلم ويقدر والموت عدم ذلك فيه ، ومعنى خلقه الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح أو إعدامه " (٢).

وقد خطأ الإمام أحمد بن المنير الإمام الزمخشري في تفسيره للموت بأنه عدم " لأن معتقد أهل السنة أنه أمر وجودي يضاد الحياة فكيف يكون العدم بهذه المثابة ، ولو كان العدم مخلوقاً حادثاً وعدم الحوادث مقررأً أزلاً للزم قطع الحوادث أزلاً " (٣).

وقد ذكر الإمام الغزالي بعض التعريفات للموت منها أنه تغير حال فقط ، أو أنه عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها.

٣ - أو إن الموت هو انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آله له ، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة

(١) تحفة المريد على جوهر التوحيد ص ٩٩ .

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري ج ٤ ص ٥٧٥ ط. دار الريان .

(٣) الإنصاف على هامش الكشف ج ٤ ص ٥٧٥ للإمام أحمد بن المنير الإسكندري.

فالموت زمانه مطلقة في الأعضاء كلها (١).

وقال الإمام ابن القيم : أن الموت معاد وبعث أول وذلك لأن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي فيهما الذين أساءوا بها عملوا ، ويجزي بها الذين أحسنوا بالحسنى .

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ، ومصيرها إلى دار الجزاء الأول ، والبعث الثاني: يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار " (٢).

ويؤيد هذا المعنى قول الإمام القرطبي في تفسيره قوله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (٣). أي يقبضها عند فناء آجالها" (٤). وهذا القبض يستلزم عنه دخول الجسد في حالة تحلل واستحالتة إلى الأصول التي تكون منها .

حكم منكر الموت بالمعنى الذي قرره القرآن الكريم والسنة النبوية

-
- (١) انظر إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ للإمام الغزالي ط. مكتبة زهران.
- (٢) الروح للإمام الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية ص ١٢٢ ، ت محمد فريد ط. المكتبة التوفيقية - القاهرة .
- (٣) سورة الزمر آية ٤٨ .
- (٤) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج ١٨ ص ٢٨٥ ط. مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

المطهرة :

لا شك أن وقوع الموت أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل فكل يوم بل وكل ساعة أناس يموتون ويشيعون ويدفنون، فالموت واقع بالمشاهدة للمؤمن وغير المؤمن، ولكن الإيمان بالموت في الإسلام يستلزم أمور منها:

١ - تحتمه على كل من كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم .

قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(١).
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾^(٢) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ كان يقول: "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون " (٣) .

٢ - أن الموت ليس نهاية الوجود ولكنه انتقال من دار الفناء إلى دار البقاء. حيث يجازى كل إنسان بما عمل ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ *

(١) سورة القصص آية ١١٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء - باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ح ٢٧١٨ .

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿١﴾ .

٣ - أن كلاله أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴾ (١) . ﴿ وَكُلُّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٢) .

٤ - أن الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاه كل عمر من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله كما قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ (٤) . وكذلك مكان الموت لا يعلمه إلا الله تعالى . ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (٥) .

وعلى ذلك يجب الإيمان بالموت بهذا المعنى الذي قرره القرآن الكريم ومنكره يكون منكراً لشيء معلوم من الدين بالضرورة ، أما كونه عديمياً أو وجودياً أو غير ذلك من الأمور الظنية التي لم تثبت بأدلة قاطعة من القرآن الكريم أو السنة النبوية الصحيحة فلا ضير على من يعتقدها أو لم يعتقدها .

(١) سورة الواقعة الآيات من ٨٨ : ٩٥ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٥ .

(٣) سورة الأعراف آية ٣٤ .

(٤) سورة الأنعام آية ٥٩ .

(٥) سورة لقمان آية ٣٤ .

الفرق بين الموت والنوم :

جاء في تعريف النوم أنه : " إزالة الحس وخلق الغفلة والآفة في محل الإدراك " (١).

" وإطلاق التوفي على النوم مجازي مبني على تشبيه النوم بالموت لما بينهما من المشاركة في زوال إحساس الحواس والتمييز " (٢).

وقيل إن النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه في جميع الأعضاء وهو الحياة ، ففي وقت الموت ، ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ، ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع تام كامل ، والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه ، وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبر تعلق النفس بالبدن على ثلاثة أوجه :

١ - أن يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك

اليقظة .

٢ - أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت أن النوم

والموت يشتركان في كون كل واحد منهما توفياً للنفس ثم يمتاز أحدهما عن

(١) المرجع السابق ص ٢٨٥ .

(٢) التفسير الكبير للرازي المجلد السابع ج ١٣ ص ١٧ ط. دار الفكر - بيروت -

لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

الآخر بخواص معينة في صفات معينة .

ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره إلا عن القادر العليم
الحكيم " (١).

الفرق بين الموت والفناء الصوفي :

كلمة الفناء تستعمل عند الصوفية في مقابلة البقاء كاصطلاحيين يُرمزُ
بهما إلى حالة من حالات المريد ومن معانيه (إنه غيبة عن الكون والذات
بالمكون والخالق والفناء عن العالم بشهود الحق) (٢) .

ومن خصائص الفناء عندهم (ذهاب وعيه بمن حوله فلا يعي الصوفي
شيئاً من العالم الحسي كما لا يعي نفسه أيضاً ، وإذا قيل فنى الصوفي عن نفسه
وعن الخلق حوله فنفسه موجودة والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم ولا به
فيكون غافلاً عن نفسه وعن العالم حوله) (٣).

ونأخذ من ذلك أن الفناء عند الصوفية هو أن يصل الصوفي من وراء
رياضاته ومجاهداته إلى حالة نفسية معينة يفقد معها شعوره بذاته وغيبته عن
إنيته فضلاً عن غيبته عن جميع الأغيار بحيث لا يشهد من نفسه ولا من غيره

(١) التفسير الكبير - المجلد ١٣ ج ٢٥ ص ٢٨٥ .

(٢) دلالات المصطلح في التصوف الفلسفي د. إبراهيم محمد يس ص ٦٥ ط. دار
المعارف ١٩٩٩ م .

(٣) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د. محمد السيد الجلند ص ٨٢ . ط.
مكتبة الزهراء - القاهرة .

عيناً ولا أثراً ولا رسماً ويبقى من ثم بوجدانه وشعوره مع حقيقة أسمى مطلقة هي " الله تعالى " عند المسلمين أو " اللوغوث " أو " الكلمة " عند النصارى، أو براهما عند البراهميين وهكذا^(١).

والخلاف واضح بين الموت والفناء الصوفي، فهذا الإنسان الذي يصل إلى ذلك ينطبق عليه ما ينطبق على غيره في الصورة الظاهرية وكل ما يمكن أن نصفه به أنه في حالة نفسية مغايرة لما عليه عامة الناس.

ما الذي يبقى من الجسم بعد الموت ؟

إذا مات الإنسان وتحول جسمه على تراب بمرور الوقت لا يبقى من جسمه إلا عَجَبُ الذنب، فما هو؟ وما مذاهب العلماء في بقائه؟
جاء في تعريف عَجَبِ الذنب أنه: " عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصعص مختص بالإنسان كمغرز الذنب في الدابة "^(٢).

وتوضيح الخلاف في فناء عجب الذنب على قولين :

الأول وهو المشهور: أنه لا يفنى واستدل القائلون بذلك بحديث: " ليس من الإنسان شيء إلا يلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب "^(٣).

(١) التصوف الإسلامي بين أنصاره وخصومه د. عبد الرحمن المراكبي ص ٣٣ ط. دار محسن ط. الثانية ١٤٢٤هـ.

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠١ ، انظر التنكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٨٤ .

(٣) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٨١ ، كتاب التفسير ، باب يوم ينخ في الصور فتأتون أفواجا ، ح ٤٦٥١ .

الرأي الثاني: قال بفناء عجب الذنب .

قال بذلك الإمام إسماعيل بن يحيى المزني وابن قتيبة .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^(١) . ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾^(٢) .

ووجه استدلالهم بهذه الآية أن فناء سائر الموجودات الممكنة يستلزم فناء الجزء الذي هو عجب الذنب من الإنسان الداخل في عموم من حكم عليهم بالفناء .

ورد أصحاب الرأي الأول على استدلال القائلين بفناء عجب الذنب أن العموم في الآيات مقصور على غير الأمور التي وردت الأحاديث باستثنائها كالروح، وعُجب الذنب، وأجساد الأنبياء، وعلى هذا فتكون الآيتان من قبيل العام المخصوص - ورجح الشيخ عبد السلام اللقاني الرأي الأول بقوله : " والأقوى في النظر أنه لا يبلى لظاهر الحديث " ^(٣) .

(١) سورة الرحمن آية ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة السجدة آية ١١ .

(٣) شرح جوهر التوحيد ص ٢١٦ .

هل المقتول ميت بانقضاء أجله ؟

اتفق المعتزلة وأهل السنة في انقضاء الأجل بالموت ولكنهم اختلفوا
فيمن قُتل هل القتل يكون بانتهاء الأجل أم أن المقتول مات قبل انتهاء أجله
ولو لم يقتل لعاش إلى أجل الموت؟

ففي هذه المسألة تنحصر الآراء فيما يأتي :

١ - مذهب أهل السنة:

إن الأجل واحد لا يقبل الزيادة ولا النقص فما قدره الله للشخص من
أجل فلا بد منه " (١) .

وبناء على ذلك فكل مقتول ميت بانقضاء عمره وحضور أجله ، وفي
الوقت الذي علم الله حصوله موته فيه بخلقه تعالى من غير مدخلية للقاتل فيه
، ... ولو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت، وألا يموت فيه ؛ لأنه لا
اطلاع لنا على ما في علم الله تعالى .

فيحتمل لو لم يقتل أن يموت في ذلك الوقت إن لم يكن عمره في علم
الله أكثر من ذلك، وهذا التجويز ذاتي على فرض عدم قتله وإلا فقد بان بقتله
أن الله علم موته في ذلك الوقت فلا يختلف فيه " (٢) .

وفي تأييد هذا الرأي يقول أبو المعين النسفي: " القتل فعل قائم بالقاتل

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي ص ١٨٧ .

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٠ .

وهو فعل يخلق الله تعالى عتيبه الموت وانزهاق الروح، والموت مخلوق الله تعالى الميت لا صنع القاتل في المحل ثم المقتول ميت بأجله عندنا؛ لأن الله تعالى لما كان عالماً أنه يُقتل جعله أجله" (١).

أدلة أهل السنة :

استدل أهل السنة على مذهبهم بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وأيضاً قوله ﷺ في الحديث القدسي: " إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وتستوفي أجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال بمعاصيه " (٤) .

وقد استدل أهل السنة على مذهبهم أيضاً بدليل عقلي هو : " أن الله تعالى قد حكم بأجل العباد على ما علم من غير تردد وإن كل ما كان كذلك

(١) التمهيد في أصول الدين أو التمهيد لقواعد التوحيد للإمام أبي المعين النسفي الحنفي

الماتريدي ص ١٠٩ ط. المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة .

(٢) سورة النحل آية ٦١ .

(٣) سورة نوح آية ٤ ..

(٤) مجمع الزوائد / ٤ / ٧١ .

فهو ميت بأجله " (١) .

الاعتراض على مذهب أهل السنة :

واعترض المخالفون لأهل السنة على هذا الرأي بالآيات والأحاديث التي تدل على نقصان آجال العباد وزيادتها مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ (٢) ، وكذلك قوله ﷺ: "من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه" (٣).

والرد على هذا الاعتراض من ثلاثة وجوه :

١ - أن الأحاديث الواردة في هذا الشأن أحاديث آحاد فلا تعارض القواطع .

٢ - أن تفسير الزيادة في العمر بزيادة الخير والبركة ولهذا نظير في اللغة فيقال : ذكر الفتى عمره الباقي فذكر الفتى زيادة في العمر بحسب البركة وليست زيادة حقيقية .

٣ - إذا فرضنا أن الزيادة حقيقية فإنها تُفسَّر بالنسبة إلى ما أثبتت الملائكة في صحفها فقد تثبتت الملائكة مطلقاً وهو في علم الله تعالى مقيد ثم يؤول الأمر إلى ما في علم الله تعالى وإلى ذلك الإشارة يقول تعالى : ﴿ يَمْحُو

(١) شرح جوهر التوحيد المسمى بإتحاف المريد بجوهرة التوحيد ص ٢١٤ .

(٢) سورة فاطر آية ١١ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق .

اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿١﴾ .

أي يثبت فيما كتبته الملائكة أما ما في أم الكتاب فلا محو فيه ولا إثبات (٢) .

الاعتراض الثاني : إذا لم يكن للقاتل دخل في انقضاء أجل المقتول فلم وجب القصاص منه عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) . فوجوب القصاص من القاتل دليل على تأثيره ومدخليته في أجل المقتول بالتقديم عن الأجل الذي قدر له بالموت عن حلوله . ويردُّ على هذا الاعتراض بأن القصاص واجب على الكسب وهو مقارنة قدرة العبد لقدرة الله عند الفعل لا على قطع الأجل (٤) .

٢ - مذهب أكثر المعتزلة :

إن المقتول ميت بغير أجله ، وذلك لأن القتل غير الموت والمقتول له أجل واحد وهو الوقت الذي حدد الله موته فيه لو لم يقتل ، فالقاتل قطع على المقتول أجله ، والقتيل لو لم يقتل لعاش إلى أجله قطعاً " فلا بد لكل حي من أجل محكوم له بأنه يعيش إليه ، فيكون أجلاً في الحقيقة وإن قتل قبله لأن الأجل هو الوقت المنتظر ، ولذلك لا يقال في الدين الحال أنه مؤجل ويقال

(١) سورة الرعد آية ٣٩ .

(٢) انظر شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(٤) انظر شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

ذلك في المتأخر «(١)» .

واستدلوا على رأيهم بأدلة منها :

أن المقتول لو كان ميتاً بأجله لما استحق القاتل القصاص لكن عدم استحقاقه ذلك باطل بنص القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٢). وكذلك هناك أحاديث نبوية تبين أن بعض الطاعات تزيد في عمر الإنسان وأن ما يقبل الزيادة يقبل النقص.

٣ - مذهب الكعبي من المعتزلة :

إن المقتول ليس بميت ؛ وذلك لأن القتل فعل العبد والموت فعل الله تعالى ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَخَشَرُونَ ﴾ (٣) .

ووجه الاستدلال بالآية أن العطف يقتضي المغايرة في قوله تعالى : ﴿ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ فالإنسان عند الكعبي له أجل بالقتل ، وأجل بالموت . فلو لم يقتل لعاش إلى أجل الموت .

رد أهل السنة :

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ج ١١ ص ٣ ط. عيسى

الحلبي - القاهرة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

(٢) سورة البقرة آية ١٧٩ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٨ .

وقد رد أهل السنة على رأي الكعبي بأن العطف في الآية لا يقتضي المغايرة ولكن المعنى ولئن متم أي بغير سبب أو قتلتم أي بسبب (١) .

٣ - مذهب أبو الهزيل العلاف من المعتزلة:

إن المقتول لو لم يقتل " كان سيموت قطعاً وإلا سيكون القاتل قاطعاً لأجله وذلك غير ممكن " (٢) . وهو بذلك يتفق مع أهل السنة في القول بأن المقتول ميت بأجله ولكنه يختلف معهم في القول بأنه لو لم يقتل لمات قطعاً ، وأهل السنة يقولون أنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وألا يموت وإن تحديد ذلك في علم الله تعالى .

وقال القاضي عبد الجبار إن ما ذهب إليه أبو الهزيل " لا يصح لأن ذلك الأجل الذي لو لم يقتل فيه يبقى إليه أجل مقدّر غير محقق فكيف يلزم أن يكون قاطعاً لأجله والحال ما ذكرنا؟ ولو جاز أن يقال أنه أفنى ولده بأن يكون المعلوم من حاله أنه لو لم يقتل لرزق ولداً ، وأنه يكون قد اغتصب ما له بأن يكون المعلوم من حاله أنه كان يرزق مالا لو لم يموت ومعلوم خلافه، ويقول أيضاً : أن بناءً على ما قاله أبو الهزيل كان يجب على الواحد منا إذا دخل

(١) انظر الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٧٩ للإمام الغزالي، ط. مطبعة السعادة - القاهرة.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص ٧٨٣ تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم ، ت. عبد الكريم عثمان ، ط. مكتبة وهبة - القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

حظيرة غيره وأتى على أغنامه أن يكون منعماً عليه بذبحها ؛ لأنه قد جعلها
مركاه بعد أن كانت يفرض الموت والمعلوم خلافه " (١) .

٣ - مذهب الفلاسفة :

ذهب الفلاسفة إلى أن للحيوان أجلاً طبيعياً وآجالاً اخترامية.

فأما الأجل الطبيعي فيحين بتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين

...

وأما الآجال الاخترامية فتتعدد بتعدد أسباب لا تحصي من الأمراض

والآفات

ورد مذهب الفلاسفة بأن مذهبهم مبني على قواعدهم التي تقضي بتأثير

الطبيعة والمزاج وهو باطل عند أهل السنة ؛ لأنهم يرون أنه لا تأثير إلا لله

سبحانه وتعالى ، وأن الأسباب الطبيعية عند الفلاسفة هي أسباب عادية عند

أهل السنة لا عقلية كما زعم الفلاسفة " (٢) .

وقد حاول بعض أهل السنة أن يضيقوا الهوة بينهم وبين المعتزلة في

هذه المسألة بقولهم إن الخلاف بينهما لفظي .

فذهب الإسفراييني إلى أن الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة لفظي

وبيان ذلك " أن الأجل إن كان زمن بطلان الحياة في علم الله تعالى كان

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٨٣ .

(٢) شرح جديد على جوهره ص ١٦٢ .

المقتول ميتاً بأجله قطعاً وإن قيد بطلان الحياة بأنه لا يترتب على فعل من العبد لما كان المقتول ميتاً بأجله قطعاً من غير تصور خلاف فرجع البحث حينئذ إلى وجود دليل التقييد وعدمه ولم يأت أحد من الفريقين بقاطع على مدعاه " (١) .

من يتولى قبض الأرواح ؟

اختلف العلماء فيمن يتولى قبض الأرواح على مذاهب ثلاثة:

١ - مذهب أهل الحق " أن الذي يقبض الروح أي يخرجها ويأخذها بإذن الله عز وجل من مقرها أو من يد أعوانه ولو أرواح الشهداء برأ وبحراً، والمراد جميع أرواح الثقلين والملائكة والبهائم والطيور وغيرهم ولو بعوضة رسول الموت أو ملك الموت (٢) . كما جاء في وصفه أنه ملك عظيم هائل المنظر مفزع جداً رأسه في السماء العليا ورجلاه في منتهى الأرض ووجهه مقابل للوح المحفوظ ، والخلق بين عينيه وله أعوان بعد من يموت يترفق

(١) المرجع السابق ص ١٦٣ .

(٢) قيل إن اسم هذا الملك " عزرائيل " ومعناه عبد الله أو عبد الجبار " وتسميته بعزرائيل أمر اشتهر عند كثيرين من أهل التفسير ولم ينقل في ذلك نص صحيح [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ١١٧] .

فأسماء الملائكة التي وردت إلينا لا تتعدى " جبريل ، أو ميكائيل " و"إسرافيل" و"مالك" ، وقد جاء النص القرآني خالياً من ذكر الاسم في قوله تعالى: " قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ " [سورة السجدة آية ١١] .

بالمؤمن ويأتيه بصورة حسنة ^(١) .

كما ذهبوا في أحد قولين لهم أنه هو الذي يتولى قبض روحه ، والقول الثاني أن الله تعالى هو الذي يتولى قبض روحه ^(٢) .

وأما إسناد التوفي إليه تعالى في قوله : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ^(٣) . فلأنه الخالق الحقيقي الموجد له ، ولما باشره ملك الموت أسند إليه كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ ^(٤) . وأسند إلى أعوانه كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ ^(٥) . لمعالجتهم نزع الروح ^(٦) .

٢ - مذهب المعتزلة :

يرى المعتزلة أن ملك الموت يقبض أرواح الثقلين دون غيرهما .

٣ - مذهب المبتدعة :

وقالت المبتدعة إن أعوان ملك الموت هما الذين يقبضون أرواح

البهائم ^(٧) .

-
- (١) شرح البيجوري على الجوهرة ص ٢١٢ .
 - (٢) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ١٠٠ .
 - (٣) سورة الزمر آية ٤٢ .
 - (٤) سورة السجدة آية ١١ .
 - (٥) سورة النحل آية ٣٢ .
 - (٦) حاشية محمد بن محمد الأمير على شرح عبد السلام بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني ص ١٣٧ ط. عيسى الحلبي .
 - (٧) المرجع السابق نفس الصفحة .

المبحث الثاني

حياة البرزخ

تعريف البرزخ :

البرزخ في اللغة : يطلق علي الحاجز بين الشيئين كما في قوله تعالى:
﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾^(١) وقيل ما بين الموت إلي
القيامة .

والبرزخ في الاصطلاح: "يطلق علي الفترة من وقت الموت إلي البعث،
فمن مات فقد دخل في البرزخ"^(٢) فالبرزخ "مدة قدرها الله تعالى ما بين الدنيا
والآخرة"^(٣) ومن هنا قيل للميت هو في برزخ لأنه بين الدنيا والآخرة. وهذه
المدة غالباً ما يقضيها الميت أو يقضي جزء منها في القبر ولذلك أضيف
العذاب أو النعيم الذي يلقيه الإنسان في هذه الفترة إلي القبر ف قيل عذاب القبر
ونعيم القبر وسؤال القبر... وهكذا فالقبر هو المكان الذي يوضع فيه الميت"^(٤)

قال ابن حجر: "وإنما أضيف العذاب إلي القبر لكون معظمة يقع فيه،

(١) سورة الرحمن :آية/٢٠، ١٩ ، انظر لسان العرب لابن منظور ج١ ص٢٥٦ ط. دار
المعارف.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٠٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ج٢ ص١٢٩

، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي ط مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج١ ص٣٩١.

ولكون الغالب علي الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاه يعذب بعد موته ولو لم يُدْفَن^(١) وعلي ذلك "فالمصلوب والحريق والغريق وأكيل السباع له من عذاب القبر ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله، يدل علي ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله إذا مات أن يحرقوه ثم يذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله إن قدر الله عليه ليعذبنّه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين قال: فلما مات فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا؟ فقال: من خشيتك يارب وأنت أعلم قال: فغفر له ذنبه"^(٢)

قال ابن القيم: "فلم يفت عذاب القبر ونعيمه هذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال... فنخلص العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها، يصرفها كيف يشاء، ولا يستحصي عليه منها شيء إرادة."^(٣)

والقبر هو آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة، وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف علي قبر بكى حتى تبطل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تُذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت علي قبر: فقال سمعت رسول الله ﷺ

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ١٨٠ ط. دار

إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

(٢) موطأ مالك، كتاب الجنائز: باب جامع الجنائز ح/ ٩٩٣.

(٣) الروح ص ١٢٣، ١٢٢ يتصرف.

يقول "أن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج فما بعده أشد منه" قال وقال رسول الله ﷺ "ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أظع منه"^(١)

ضغطة القبر :

ضغطة القبر هي : "التقاء حافتيه التقاءً برزخياً. يتناسب مع عالم البرزخ وما يحكمه من قوانين. علي جسد الميت"^(٢) وهذه الضغطة لا ينجو منها أحد كبيراً كان أو صغيراً إلا من استثناه النبي ﷺ فقد ثبت في كتب السنة أن القبر ضمَّ سعد بن معاذ وهو الذي تحرك لموته عرش الرحمن، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "هذا الذي تحرك له عرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فُرج عنه"^(٣).

المستثنون من ضغطة القبر:

إذا كانت ضغطة القبر عامة لكل واحد فقد ورد أن من الناجين منها:

١- من قرأ سورة الإخلاص في مرض موته وذلك لما رواه أبو نعيم عن عبد الله بن الشخير "من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم

(١) سنن الترمذي كتاب الزهد ح/٢٣٥٨.

(٢) شرح جوهرة التوحيد ص٤٦٦، أنظر إحياء علوم الدين ج٤ ص٤٨٧.

(٣) سنن النسائي، كتاب الجنائز باب ضمة القبر وضغطته ح ١٠٠/٤.

يفتن في قبره، وأمن من ضغطة القبر... الحديث" (١)

٢- فاطمة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام "وذلك لما ورد من أنها لما ماتت سكب عليها النبي صلى الله عليه وآله الماء الذي فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع في قربها ودعا لها بأن يوسع الله عليها مدخلها. (٢)

سؤال الملكين:

مسألة "سؤال الملكين للموتى من المسائل المتفق عليها بين سلف الأمة" (٣) ومما يدل على ثبوت هذا السؤال قوله تعالى: ﴿يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤) فقد ذكر كثير من المفسرين في معني هذه الآية أنها تدل على سؤال الملكين في القبر. (٥)

وقد وردا أيضاً في سبب نزول هذه الآية ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه لما وصف مسألة منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر: يا رسول الله

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢١٣ ط. دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ط ٤، ١٤٠٥ هـ.

(٢) التذكرة ص ١١٢.

(٣) أبكار الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الأمدي ج ٤ ص ٣٣٢ ت د/ أحمد المهدي ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ١٤٢٣/٥١٤٢٠٢ م.

(٤) سورة إبراهيم: آية ٢٧.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٤٠، ١٣٩، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمران الزمخشري ج ٢ ص ٢٧٧ ط دار المعرفة بيروت، لبنان.

أَيكون معي عقلي؟ قال: نعم قال: كُفِنْتُ إِذَا فَاتَزَلَ اللهُ عِزَّ وَجَلِ هَذِهِ الْآيَةِ. (١)

وقد وردت أحاديث كثيرة تفيد ثبوت سؤال الملكين للميت منها: ما ورد عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال "إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ "يُثَبَّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ" (٢).

ومنها ما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَأَنَّهُ لَيَسْمَعُ قِرْعَ فَعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيَقَالُ لَهُ أَنْظِرْ إِلَيَّ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا... الْحَدِيثُ" (٣)

سبب تسمية الملكين "بمنكر ونكير":

سمي الملكين منكر ونكير لأنهما يأتيان الميت بصورة منكرة ففي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ" أَوْ قَالَ "أَحْدَكُمُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مَنْكَرٌ وَلِلْآخَرِ نَكِيرٌ... الْحَدِيثُ" (٤) وقيل هما للمؤمن

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٢ ص ١٤٠.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ١٨٠، ١٨١ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط ٣ ١٤٠٥/١٩٨٥ م.

(٣) فتح الباري ج ٣/ص ١٨٤، ١٨٥ ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

(٤) رواه الترمذي.

الموفق مبشر وبشير، أما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكر ونكير.^(١) كما ورد في وصفهما أيضاً "أن أعينهما كقدور النحاس أو كالبرق، واصواتهما كالرعد، إذا تكلمتا يخرج من أفواههما كالنار، بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت، كما ورد أن بيد أحدهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل مني ما أقالوها ولكنهما يترفقان بالمؤمن ويقولان له إذا وفق للجواب: نعم نومه العروس، وينتهران المنافق والكافر"^(٢) وأنكر بعض المتكلمين تسمية الملكين منكراً ونكيراً وقالوا: (إنما المنكر ما يصدر من الكافر عند تلجلجه إذا سئل، والنكير: إنما هو تقرير الملكين له)^(٣) والأول أصوب لورود الأحاديث به "وهذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذوا تهما، ولكنهما منكران من حيث أن الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق وقد قال إبراهيم الخليل: لأضيافة الملائكة ﴿قَوْمٌ مُّكْرُونَ﴾"^(٤) لأنه لم يكن يعرفهم فهذان منكر ونكير لأنهما غير معروفين للميت^(٥)

يقول القاضي عبد الجبار: "إن هذا بمنزلة غيره من الألقاب التي لاحظ لها في إفادة المدح والذم والثواب والعقاب، وهو جارٍ علي طريقة العرب

(١) شرح جوهرة التوحيد ص ٣٦٣.

(٢) تحفة المريد علي جوهرة التوحيد ص ١٠٤.

(٣) المواقيف للإمام عضد الدين الإيجي بشرح الشريف الجرجاني ج ٨ ص ٣١٧ ط دار الجيل بيروت ط ١٤١٧هـ / ١٩٧٧م.

(٤) سورة الذاريات: آية ٢٥.

(٥) شرح العقيدة الداسطية ص ٤٧٩ للشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، أعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان ط دار الثريا للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

وتسميتهم أبناءهم واعزاتهم بالصخر والذئب وغير ذلك من غير أن يفيدوا به مدحاً ولا ذماً بل ليقوم مقام الإشارة علي ما هو موضوع التلقيب وعلى أنا لو جعلنا هذا الاسم من الأسماء المفيدة، فإنه ليس يفيد قولنا منكراً أكثر من أن الغير لا يعرفه، وبأن من لا يعرف شخص من الأشخاص ملكاً من الملائكة لم يدخل الملك في استحقاق الذم، وهكذا في قولنا نكيراً فإنه فعيل بمعنى مفعول وهو معنى شائع^(١). وهذا السؤال هو فتنة القبر، وقيل هي التلجج في الجواب^(٢) وقيل أن فتنة القبر ما ورد من حضور إبليس في زاوية من زوايا القبر مشيراً إلى نفسه وذلك عند قول الملك للميت من ربك؟^(٣)

لمن يكون السؤال :

هل سؤال الملكين في القبر للميت عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو مختص بالمسلم والمنافق؟

اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال أن "الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام فيثبت الله الذين آمنوا ويرتأب المبطلون"^(٤) وذلك لأن الأمم

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٤.

(٢) تحفة المريد ص ١٠٥.

(٣) شرح جوهرة التوحيد ص ٣٦٥.

(٤) الروح ص ١٤٠.

قَبْلَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالرَّسَالَةِ فَإِذَا أَبُو عَوْجَلُوا بِالْعَذَابِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، أَمَسَكَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَأَعْطَى السَّيْفَ حَتَّى دَخَلَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَنْ دَخَلَ نَهَايَةَ السَّيْفِ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ فَلَمَّا مَاتُوا قَبِضَ اللَّهُ لَهُمْ فَتْنَةُ الْقَبْرِ لِيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْمُنَافِقِ وَلِيُمَيِّزَ اللَّهَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ" (١) وَعَلَى هَذَا الرَّأْيِ ذَهَبَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَقَالَ ابْنُ الْقَيْمِ أَنَّ السُّؤَالَ فِي الْقَبْرِ يَكُونُ لِلْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ لِثَبُوتِهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢) فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حِينَ يَسْأَلُ مَنْ رَبِّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيِّكَ وَفِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ لِيَسْمَعَ قَرَعَ فَعَالَهُمْ... وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لَا دَرِيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيَضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ يَصِيحُ صَوْبَهُ يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ" (٣).

المستثنون من السؤال :

والأنبياء لا يسألون؛ لأن الأنبياء أفضل من الشهداء وقد ثبت عن النبي

(١) فتح الباري ج ٣ ص ١٨٧.

(٢) سورة إبراهيم: آية ٢٧.

(٣) سبق تخريجه. انظر الروح ص ١٤٠.

ﷺ أن الشهيد يوقي فتنة القبر" ^(١)؛ وذلك لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: يعطى الشهيد ست خصال عند أول قطرة من دمه يُكفَّر عنه كل خطيئة، ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويؤمن من الفرع الأكبر، ومن عذاب القبر، ويحلّى حلة الإيمان ^(٢).

وورد أيضاً أن النبي ﷺ سئل ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد فقال: "كفى بيارق السيوف على رأسه فتنة" ^(٣) ولأن الأنبياء يسأل عنهم، فيقال للميت من نبيك فهم مسئول عنهم وليسوا مسئولين وقيل يسألون عن الوحي الذي انزل عليهم وعن جبريل ^(٤) وكذلك الصديقون لا يسألون وذلك لأن مرتبة الصديق أعلى من مرتبة الشهيد فإذا كان الشهداء لا يسألون فالصديقون لا يسألون من باب أولى ولأن الصديق قد عُلِمَ صدقه فلا حاجة إلى اختباره. والشهداء لا يسألون لظهور صدق إيمانهم بجهادهم وكذلك المرابطون لقوله ﷺ: "رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جري عليه عمله الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان" ^(٥).

وقيل أن من لا عقل لهم كالمجانين والصبيان لا يسألون أيضاً. ^(٦) وقيل

(١) شرح العقيدة الواسطية ص ٤٧٧.

(٢) حديث حسن، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٠٠، ح ٧٨١٨.

(٣) الشهيد ج ٤ ص ٩٩ ح ٢٠٠٥٣.

(٤) تحفة المريد ص ١٠٥.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة.

(٦) أنظر شرح العقيدة الواسطية ص ٤٧٦.

أن الملازمين لقراءة سورة الملك مستثنون من السؤال أيضاً وكذلك سورة السجدة في غالب الأوقات، ومن قرأ في مرض موته سورة الإخلاص، ومريض البطن والميت بالطاعون أو غيره في زمنه صابراً محتسباً، والميت ليلة الجمعة أو يومها ورجع البيجوري أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يسألون سؤالاً خفيفاً^(١) ويكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس فإذا تأخر دفنه يوم أو أكثر لم يكن السؤال حتى يدفن ولذلك كان من هدي النبي ﷺ انه إذا دفن الميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل"^(٢)

يقول القاضي عبد الجبار: وأما الكلام في أنه تعالى يبعث إليه ملكين يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيسألانه ثم يعذبانه أو يبشرانه حسب ما وردت به الأخبار فإن ذلك مما لا يهتدي إليه من جهة العقل وإنما الطريق إليه السمع.^(٣)

(١) تحفة المريد ص ١٠٥.

(٢) منن أبي داود ٣٢٢١.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٢.

المبحث الثالث

عذاب القبر ونعيمه

اتفق وأهل السنة وجمهور المعتزلة علي القول بثبوت النعيم والعذاب في القبر وذلك للدلالة الكتاب والسنة عليه ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(١).

يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية :

"احتج أكثر العلماء بهذه الآية في إثبات عذاب القبر، وتقرير الدليل أنهم أثبتوا لأنفسهم موتتين حيث قالوا: "ربنا أمتنا اثنتين" فأحد الموتتين شاهد في الدنيا، فلا بد من إثبات حياة أخرى. في القبر حتى يصير الموت الذي يحصل عقيبها موتاً ثانياً وذلك يدل علي حصول حياة في القبر"^(٢)

ويقول القاضي عبد الجبار في استدلاله بهذه الآية علي ثبوت العذاب والنعيم في القبر: "ولا تكون الإمامة والإحياء مرتين إلا وفي أحدي المرتين إما التعذيب في القبر، أو التبشير"^(٣)

(١) سورة غافر: آية ١١.

(٢) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ج ٢٧ ص ٣٥ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣١.

٢- قوله تعالى ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ

أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(١).

وجه الاحتجاج بها من ثلاثة أوجه :

الأول: أنها صريحة في العذاب قبل يوم القيامة، وذلك لا يكون إلا قبل

الانتشار من القبور.

الثاني: إن عذاب يوم القيامة يكون دائماً غير مؤقت وما أثبتته من العذاب

فليس دائماً، بل بكرة وعشياً علي ما قاله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

وَعَشِيًّا﴾ وإذا لم يكن هو عذاب يوم القيامة تعين أن يكون هو عذاب القبر، إذ

الآية إنما وردت في حق الموتى.

الثالث: أن الآية قد فرقت بين العذابين ووصفت عذاب يوم القيامة بأنه

أشد العذاب... والعرض علي النار ليس هو أشد العذاب، فلا يكون هو عذاب

يوم القيامة، فتعين أن يكون هو عذاب القبر^(٢).

قال ابن كثير: "وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة علي

(١) سورة غافر: آية ٤٦.

(٢) أبحاث الأفكار في أصول الدين للإمام سيف الدين الأمدي ج٤، ص ٣٣، ت د/أحمد

المهدي، ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م. أنظر شرح الأصول

الخمس ص ٧٣٠، المواقف للإمام عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، بشرح

الشريف الجرجاني ج ٨ ص ٣١٧، ت عبد الرحمن عميرة، ط دار الجيل بيروت ط ١

١٤١٧ هـ ١٩٧٧ م.

عذاب البرزخ^(١) .

وقال القرطبي: "هذا عذاب القبر في البرزخ"^(٢)

وقال الإمام الزمخشري في الآية: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ في هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها، وعرضهم عليها إحراقهم بها... غدواً وعشياً في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فإما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون غدواً وعشياً عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت الساعة قيل لهم أدخلوا آل فرعون أشد العذاب^(٣)

٣- قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٤) .

قال ابن عباس: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في الآخرة إذا حل بكم العذاب ، فالأول في القبر، والثاني في الآخرة فالتكرار للحالتين ، وروى كذلك عن علي عليه السلام في قوله: كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ١٠٠ .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ١٥٢ .

(٣) الكشف ج ٤ ص ١٧٠ .

(٤) سورة التكاثر: الآيات ١ : ٣ .

فأشار إلى قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني في القبور ^(١) .

٤- قوله تعالى في حق قوم نوح ﴿ أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا ﴾ ^(٢) "والفاء في اللغة للتعقيب من غير مهلة وذلك ظاهر في عذاب القبر" ^(٣)

٥- وكذلك قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ^(٤) " قال في "اليوم" للعهد الحضورى يعني: اليوم الحاضر، والمراد به يوم حضور الملائكة لقبض أرواحهم، وهذا يقتضى أنهم يعذبون من حين أن تخرج أرواحهم وهذا هو عذاب القبر" ^(٥)

الأدلة من السنة:

يقول شارح الطحاوية: "وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً... فيجب اعتقاد ثبوت ذلك

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٢٢ ص ٤٥٤.

(٢) سورة نوح: آية ٢٥.

(٣) أبكار الأفكار ج ٤ ص ٣٣، شرح الأصول الخمسة ص ٧٣، التمهيد في أصول الدين أو التمهيد بقواعد التوحيد لأبي المعين النسفى الماتريدي ص ١٣٢.

(٤) سورة الأنعام: آية ٩٣.

(٥) شرح العقيدة الواسطية ص ٤٨٦ للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط دار الثريا للنشر والتوزيع ط ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

والإيمان به." (١)

ومن هذه الأخبار ما رواه ابن عباس قال مر النبي ﷺ بقبرين فقال:
"أنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول،
وأما الآخر فكان يمشي بالتميمة... الحديث" (٢).

قال ابن حجر: "هذا الحديث صريح في إثبات عذاب القبر" (٣) وقال
الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث "فيه إثبات عذاب القبر وهو مذهب أهل
الحق" (٤).

وقال الذين ابن المنير: "المراد بتخصيص هذين الأمرين بالذكر تعظيم
أمرهما لا نفي الحكم عما عداهما، فعلي هذا لا يلزم من ذكرها حصر عذاب
القبر فيهما، لكن الظاهر من الاختصار علي ذكرهما أنهما أمكن في ذلك من
غيرهما" (٥).

وقد ثبت أيضاً أن النبي ﷺ كان يتعوذ من عذاب القبر ففي حديث أبي
هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: "اللهم أني أعوذ بك من عذاب

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية صد ٣٣٣ للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد
بن أبي الغر الحنفي ت/أحمد شاكر/ط مكتبة التراث القاهرة.

(٢) صحيح البخاري كتاب باب ما جاء في غسل البول ح/

(٣) فتح الباري ج ٣ صد ١٨٨، أنظر أبحاث الأفكار للأمدى صد ٣٣٧، شرح الأصول الخمسة
صد ٧٣٢.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ صد ٢٠٦.

(٥) فتح الباري ج ٣ صد ١٨٨.

القبر، ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال»^(١).

يقول الإمام الإيجي "والأحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر أكثر من أن تحصى بحيث تواتر القدر المشترك بينها وإن كان كل واحد منها من قبيل الآحاد"^(٢).

المنكرون للحياة البرزخية

علي الرغم من وضوح الأدلة الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه فقد ذهب الملاحدة والزنادقة ومن نجا نحوهم إلي القول بإنكار ذلك مستدلين ببعض الأدلة منها:

١- إن استدلال المثبتين لعذاب القبر ونعيمه بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَبْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾^(٣) لا تدل على ثبوت عذاب ولا نعيم في القبر "لأن المقصود بالموته الأولي هو الإشارة إلي الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة وعلقة، والموتة الثانية إشارة إلي ما حصل في الدنيا"^(٤).

الرد علي تلك الشبهة :

وللرد علي تلك الشبهة يقول القاضي عبد الجبار: "ومتي قالوا أن إحدى

(١) صحيح البخاري/ كتاب باب التعوذ من عذاب القبر/ح

(٢) شرح المواقف ج ٨ ص ٣١٨.

(٣) سورة غافر: آية ١١.

(٤) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٣٥.

الإماتتين إنما هو خلق الله تعالى الخلق من نطفة هي موات، قلنا أن الإمامة في الحقيقة هي إبطال الحياة وإزالتها، وتفريق البنية التي تحتاج هي في الوجود إليها، وذلك لا يتصور في النطفة التي لم تكن حية أصلاً- هذا من ناحية ومن ناحية أخرى- أن الله تعالى قد أثبت الإمامة مرتين وعلي هذا الذي ذكره يقتضي أن يكون ذلك مراراً^(١) لأن الله تعالى قد ثبت أنه خلق الإنسان من طين ولم يصر حياً في المرحلة التالية من خلقه بل صار نطفة فعلاقة فمضغة فعظاماً ثم اكتست العظام لحماً مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)

ويقول الإمام الرازي في رده علي هذه الشبهة كذلك: "أن الإمامة تستعمل بمعنيين أحدهما:

إيجاد الشيء ميتاً، والثاني: تصير الشيء ميتاً بعد أن كان حياً كقولك: وسَّع الخياط ثوبي، فيَحْتَمَلُ أنه خاطه واسعاً، ويَحْتَمَلُ أنه صيره واسعاً بعد أن كان ضيقاً، فَلَمْ لا يجوز في هذه الآية أن يكون المراد بالإمامة خلقها ميتة، ولا

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣١، ٧٣٠.

(٢) سورة المؤمنون: آية ١٢/١٣/١٤.

يكون المراد تصيرها ميتة بعد أن كانت حية^(١)

الشبهة الثانية: "أن الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾

هم الكفار فلا يكون حجة، وأيضاً لو ثبتت الحياة في القبر لكانت الإحياءات

ثلاث: أولها في الدنيا، وثانيها في القبر، وثالثها في القيامة، والموت الحاصل

بينهم هو الموت الشاهد في الدنيا^(٢)

وقد رد الإمام الرازي علي هاتين الشبهتين بقوله: "أن قولهم أن هذا

كلام الكفار فلا يكون حجة فالرد عليه أنهم لما ذكروا ذلك لم يكذبهم الله

تعالى، إذا لو كانوا كاذبين لأظهر الله تكذيبهم، لا تري أنهم لما كذبوا في

قولهم ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٣) كذبهم الله تعالى في ذلك فقال "أنظر

كيف كذبوا" أما قولهم إذا كان هناك حياة في القبر للزم أن يكون عدد الحياة

ثلاث مرات لا مرتين فقد أجاب الإمام الرازي عليهم من وجوه

الأول: أن مقصودهم تعديل أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة: الموتة

الأولي، والحياة في القبر، والموتة الثانية، والحياة في القيامة، فهذه الأربعة

أوقات البلاء والمحنة فأما الحياة في الدنيا فليست من أقسام أوقات البلاء

والمحنة فلهذا السبب لم يذكروها.

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٣٥، أنظر أبعاد الأفكار ج ٤ ص ٣٣٤، ٣٣٣، شرح المواقف ج ٨

ص ٣١٧.

(٢) أنظر التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٣٤.

(٣) سورة الأنعام: آية ٢٣.

الثاني: لعلمهم ذكروا الحياتين وهما: الحياة في الدنيا، والحياة في القيامة، أما الحياة في القبر فأهملوا ذكرها لقلة وجودها وقصر مدتها.

الثالث: لعلمهم لما صاروا أحياء في القبور لم يموتوا، بل بقوا أحياء، إما في السعادة، وإما في الشقاوة وأتصل بها حياة القيامة، فكانوا من جملة من أرادهم الله بالاستثناء في قوله: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾^(١).... وينهي الإمام الرازي رده علي في هذه المسألة بقوله "إننا نُرجِّح قولنا بالأحاديث الصحيحة الواردة في عذاب القبر"^(٢)

٢- ومن حجج المنكرين لعذاب القبر أيضاً قولهم: "إن الله تعالى يقول حكاية عن الكفار إذا حُسِرُوا ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾"^(٣) وهو دليل ظاهر علي أنهم لم يكونوا مكذبين قبل ذلك"^(٤)

ويجب الإمام الآمدي علي هذه الحجة بقوله: هذا "دليل علي حياتهم، لأن المفهوم من المرقد هو موضع الاضطجاع للرقاد، والرقاد من صفات الأحياء، فإثبات المرقد لهم يدل علي كونهم أحياء في قبورهم، وليس فيه ما يدل علي عدم العذاب؛ لجواز أن يكونوا في مراقدهم معذبين، ولهذا فإنه يصح أن يقول المريض الملازم للمرض تعذبت في مرقدي، فالمرقد يكون مع

(١) سورة الزمر: آية ٦٨.

(٢) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٣٦، ٣٧.

(٣) سورة يس: آية ٥٢.

(٤) أبكار الأفكار ج ٤ ص ٣٣٨.

الراحة تارة ومع مقابلها أخرى، ويحتمل أن يقال بأن ما يلقونه من عذاب القبر بالنسبة إلي ما يلقونه من عذاب يوم القيامة يكون كالروح والراحة حالة كون الإنسان راقداً في مرقده، ولذلك قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا: أي ما كنا فيه من الروح والراحة بالنسبة إلي هذا العذاب." (١)

٣- ومن الشبه التي أنارها المنكرون لعذاب القبر ونعيمه قولهم: "إننا نري الميت أو المقتول أو المصلوب مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يصير القبر علي ها روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ كما أننا نكشف القبر فلا نجد فيه حيات ولا ثعابين، ولو وضعنا علي عيني الميت الزئبق، وعلي صدره الخردل لوجدناه علي حاله وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد ساحته علي حد ما حفرناها لا تزيد ولا تنقص؟" (٢)

ويجيب سعد الدين التفتازاني علي تلك الشبهة بقوله: "أنه لا عبرة بالاستبعاد مع إخبار الصادق، علي أنه لو سلم اشتراط الحياة بالبيئة، فلا بد أن يبقى من الأجزاء الأصلية ما يصلح بنية، وأن يكون التعذيب والمسألة مع الروح أو الأجزاء الأصلية، فلا يشاهد الناظر، وأن يوسع القادر المختار للحد

(١) أفكار الأفكار ج٤؛ ص ٣٣٩.

(٢) انظر الروح ص ١٠٦.

"فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم ولا يمكن أن يقاس بعالم الشهادة"^(٢)
 "وخوارق العادات غير ممتعة في مقدور الله تعالى"^(٣) يقول ابن القيم: "إن الله سبحانه جعل الدور ثلاثاً دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان بن بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا علي الأبدان، والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة علي ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلفه، وجعل أحكام البرزخ علي الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ علي الأرواح فتسري إلي أبدانها نعيماً أو عذاباً كما تجري أحكام الدنيا علي الأبدان فتسري إلي أرواحها نعيماً أو عذاباً، فأحط بهذا الموضع علماً وأعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من

(١) شرح المقاصد لسعد الديت التفتازاني ج ٥ ص ١١٣ ت عبد الرحمن عميره ط عالم الكتب بيروت.

(٢) شرح العقيدة الواسطية ص ٤٨٩.

(٣) أبكار الأفكار ج ٤ ص ٣٣٩.

داخل أو خارج" (١) .

ويقول الإمام الغزالي أيضاً في رده علي تلك الشبهة: "إن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت، ما تري الصحابة عليهم السلام كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده، فإن كنت لا تؤمن بهذا فتصحح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك، وأن كنت آمنت به وجوزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت، وكما أن الملك لا يشبه الأدميين والحيوانات، فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتُذكر بحاسة أخرى" (٢)

أحد الباحثين المحدثين ينكر الحياة البرزخية:

إذا كان الملاحدة والزنادقة وبعض الغلاة قد أنكروا عذاب القبر ونعيمه فقد أنكر د. أحمد صبحي منصور الحياة البرزخية بما فيها من سؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه وغير ذلك بل وأنكر أن يكون للميت بعد موته أي إحساس أو شعور وأنه يظل علي حالته هذه إلي يوم البعث يقول: "لقد أنتقل الكائن الحقيقي داخل الجسد - وهو النفس - إلي عالم البرزخ ودخل فترة كمون أو موت حيث لا يحس بأحد ولا يحس به أحد، أن آخر لحظة إحساس للميت تكون ساعة الاحتضار في حوارهِ مع ملائكة الموت، وحين البعث في العالم الآخر يستعيد الإنسان ذكرياته

(١) الروح ص ١٠٨.

(٢) إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٨٥.

سريعاً، ويكون أول ما يتذكر هو لحظة موته، ويتخيل أنها كانت بالأمس القريب،
يظن أنه مر عليه يوم أو بعض يوم، وينسى أنه مكث في البرزخ آلاف السنين^(١)
ويستدل ببعض الآيات التي فهم منها أنها تدل علي ما يقول ومنها قوله تعالى:
﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ
مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ
بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ﴾^(٢).

يقول عن الذي مر علي القرية: ^(٣) "إنه حين استيقظ أو بعثه الله بعد
مائة عام ظن أنه لبث يوماً أو بعض يوم فقط، إلي فقد الإحساس بما حوله
طيلة مائة عام ، وأصبحت المائة عام مجرد نوم استمر يوماً أو بعض
اليوم"^(٤)

والحق أن هذه الآية لا تدل من قريب أو بعيد علي ثبوت الحياة
البرزخية أو نفيها بل تتحدث عن شيء آخر وهو قصة هذا الرجل الذي طاف

(١) حقائق الموت في القرآن الكريم د. أحمد صبحي منصور ص ٩١، ط دار الشرق
الأوسط القاهرة ط ١/ ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٩.

(٣) اختلفت الأقوال في المقصود بهذا الشخص الذي مر علي القرية فقيل هو غدير، وقيل
هو ارمياء وكان نبياً وقيل هو الخضر أو إسماعيل وأحق اسم الخضر لأن = الخضر
كان معاصراً لموسى عليه السلام وهذا الذي مر علي القرية هو بعده بزمان من سبط هارون
وقيل هو رجل من بني اسرائيل غير مسمى انظر الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص
٢٩٦، ٢٩٥.

(٤) حقائق الموت في القرآن الكريم ص ٩٢.

بقريّة فلم يجد بها ساكناً وهي خاوية علي عروشها بعد أن كانت عامرة بالسكان فقال: أني يحي هذه الله بعد موتها" أي متي يحي أو كيف يحي وهو استبعاد لإحيائها وهي علي تلك الحالة المشابهة لحالة الأموات المبينة لحالة الأحياء فأماته الله مائة عام ثم بعثه وسأله كم لبثت فقال: يوم أو بعض يوم فأخبره بأنه لبث مائة عام وأن الله تعالي قادر علي إعادته للحياة وأمره أن ينظر إلي طعامه وشرابه ليري أنه لم يتغير بالرغم من مرور مائة عام عليه وينظر إلي حماره كيف تفرقت أجزاؤه وتحررت عظامه ثم أحياء الله وأعاده كما كان أو ينظر إليه قائماً في مربطه لم يصبه شيء بعد أن مضت عليه هذه المدة ولنجعلك آية للناس. أي دلالة علي البعث بعد الموت^(١) فالآيات تتحدث عن البعث لا عن الحياة البرزخية.

أما استشهاده بقصة أهل الكهف وأنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع سنوات كاملة "وخلالها لم يحس أهل الكهف بما جري لمدينتهم من تقلب الأيام وموت أجيال وحياة أجيال وانقراض حكام وقيام حكام"^(٢) فهذه الآية لا تدل علي نفي الحياة البرزخية فأهل الكهف هؤلاء لم يكونوا أموات بل كانوا أحياء بدليل قوله تعالي: ﴿وَنُقَلِّبُھُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ﴾ وكذلك قوله تعالي ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^(٣) أما استشهاده بقوله

(١) انظر فتح التقدير ج ١ ص ٢٨٠، الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٣٠٠.

(٢) حقائق الموت في القرآن الكريم ص ٩٢.

(٣) سورة الكهف: آية ١١.

تعالى ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾^(١) وقوله "أنه حين ينتهي البرزخ يظن أحدهم انه مات أو نام منذ ساعة"^(٢) فهي أيضاً لا تدل علي ما يدعي بقول القرطبي في تفسيره للآية السابقة "ليس في هذا رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبي ﷺ من غير طريقة أنه تعود منه، وأمران يتعود منه...وفي معني مالبثوا غير ساعة قولان:

أحدهما: أنه لابد من خمد قبل يوم القيامة، فعلي هذا قالوا: مالبثنا غير ساعة، والقول الآخر أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾^(٣) يقول ابن حزم الأندلسي في استدلاله علي ثبوت عذاب القبر: فإن اعترض معترض بقوله تعالى ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٤) أو ما أشبهها من الآيات، فلا حجة لهم في ذلك؛ لأن الله تعالى إنما حكى ذلك من قولهم، لا أنه تعالى أخبر أنه حقيقة، وإنما قالوا لهم هذا علي التقليل للمدة التي كانوا فيها في البرزخ وإشفاقاً من عظيم ما اشرفوا عليه، كما قال الله عز وجل ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ

(١) سورة الروم :آية ٥٥.

(٢) حقائق الموت في القرآن الكريم ص ٩٣.

(٣) سورة النازعات :آية ٤٦. أنظر الجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٤٥١.

(٤) سورة المؤمنون :آية ١١٣.

بَيْنَهُمْ»^(١) وكقوله تعالى: «كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» ونحن نقول- والكلام لابن حزم- إذا طال عمر أحدنا وحضره الموت كأنه لم يعيش.^(٢) أما قوله أن القرآن ربط بين "آخر إحساس للميت قبل دخوله البرزخ وأول إحساس له بعد البعث وخروجه من البرزخ كي يبين أن البرزخ فترة لا زمن ولا إحساس ولا شعور فيها، وأن القرآن لا يجعل فاصلاً بين المرحلتين فيما يخص الشعور والحوار^(٣) ويستدل بقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...﴾^(٤) فهذه الآية لا تثبت ما يدعي من نفي للحياة البرزخية بل علي العكس من ذلك فيها دليل علي ثبوت الحياة البرزخية وذلك في قوله تعالى ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ فالمقصود باليوم هنا هو "اليوم الذي تقبض فيه أرواحهم أو الوقت الذي يعذبون فيه والذي مبدؤه عذاب القبر"^(٥) أما قوله بأن "قصة حساب القبر مستوحاة من التراث الفرعوني حيث يمثل الميت أمام أوزيريس الذي يسأله عن

(١) سورة يونس: آية ٤٥.

(٢) الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي ص ٨٤٤ تحقيق، جماعة من العلماء، ط دار الكتب

العلمية بيروت لبنان، ط ١ ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٣) حقائق الموت في القرآن الكريم ص ٩٤.

(٤) سورة الأنعام: آية ٩٤، ٩٣..

(٥) فتح التقدير ج ٢ ص ١٤٠.

أعماله... وأنه لم يرد في القرآن، شيء عن عذاب القبر أو نعيمه وأن من ابتعد عن القرآن فقد وقع في المتاهة^(١) فهذا كلام لا أساس له من الصحة فعذاب القبر ونيعمه وارد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وهو أمر مجمع علي ثبوته بين أهل السنة والجماعة وليس مأخوذاً من شيء غير القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي هي المصدر الثاني للتشريع وهذا أمر مجمع عليه لدي جمهور العلماء.

ومن هذه الأدلة قوله تعالى في حق آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢)، وكذلك قوله تعالى في حق قوم نوح عليه السلام: ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَاراً﴾^(٣). والفاء للتعقيب، وما ثبت من أحاديث كثيرة تفيد هذا المعنى ومنها ما ثبت من أن النبي ﷺ سمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال ﷺ: "يعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى كان أحدهما لا يستبرأ من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة ... الحديث" ^(٤). وقد حفظ الله سبحانه وتعالى سنة النبي ﷺ وذلك بأن فيض لها رجالاً علي قدر كبير من العلم والحفظ والفهم، كرسوا حياتهم لخدمتها، وجمعها وتصنيفها وتمحيصها بدقة وأمانة وإخلاص في نقلها كما جاءت عن رسول الله ﷺ ومن أراد معرفة ذلك

(١) حقائق الموت في القرآن الكريم ص ٩٥، ٩٦، ١٠٠.

(٢) سورة غافر آية ٤٦.

(٣) سورة نوح آية ٢٥.

(٤) فتح الباري ج ١/ ٢٥٢.

بالتفصيل فليراجع علم "مصطلح الحديث" وإتباع سنة النبي ﷺ هي إتباع أيضاً للقرآن الكريم فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في أكثر من آية بإتباع الرسول ﷺ والأخذ بسنته ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢) ﴿قُلْ اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٣)

أسباب عذاب القبر :

يقول ابن القيم: "والأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور علي قسمين مجمل ومفصل، أما المجمل فإنهم يعذبون علي جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامتنلت أمره واجتبت نهيه، ولا بدأ كانت فيه أبداً، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه علي عبده، فمن اغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات علي ذلك كان له من عذاب البرزخ يقدر غضب الله وسخطه

(١) سورة آل عمران :آية ١٣٢.

(٢) سورة النساء :آية ٥٩.

(٣) سورة النور :آية ٥٤.

أما المفصل فقد ورد في كثير من الأحاديث تمازج منه^(٢) مثال ذلك:

١ - النميمة وعدم الاستبراء من البول :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي ﷺ فقال النبي ﷺ "يعذبان وما يعذبان في كبير" ثم قال: "بلي كان أحدهما لا يستتر من بوله^(٣) وكان الآخر يمشي بالنميمة^(٤)" ثم دعي بجريدة رطبة فكسرها كسرتين فوضع علي كل قبر منهما كسرة فقيل له يا رسول الله لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف

(١) الروح لابن قيم الجوزية ص ١٢٨، أنظر لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٧.

(٢) وردت أحاديث كثيرة في ذكر أسباب عذاب القبر سنقتصر هنا على ذكر ما صح منها.

(٣) الاستتار أنه لا يجعل بينه وبين بوله سترة أي لا يتحفظ منه وفي رواية "لا يتنزه" من التنزه وهو الإبعاد وفي رواية أخرى. كان لا يتوقى وهي مفسرة للمراد، وأجراه بعضهم علي ظاهرة فقال معناه: لا يستتر عورته، وضعف بأن التعذيب لو وقع علي كشف العورة يستقل الكشف بالسببية وطرح اعتبار البول فيترتب العذاب علي الكشف سواء وجد البول أم لا، أما رواية الاستبراء فهي أبلغ في التوقي "فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ ص ٢٥٤ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان"

(٤) التميمة: هي نقل كلام الناس بعضهم إلي بعض علي جهة الإفساد، أما إذا دعت الحاجة إليها أو كان فيها مصلحة شرعية فلا مانع منها، كما إذا أخبره بأن إنساناً يريد الفتك به أو بأهله أو بماله، أو أخبر الإمام أو من له الولاية بأن إنساناً يفعل كذا، أو يسعى بما فيه مفسدة ويجب علي صاحب الولاية الكشف عن ذلك وإزالته، فكل ذلك وما أشبهه ليس بحرام، وقد يكون بعضه واجباً وبعضه مستحباً بحسب المواطن. 'صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٦٠ ط بيت الأفكار الدولية'.

عنهما ما لم يبيس" (١)

٢- الغلُول (٢) :

ومن الذنوب المسببة لعذاب القبر الغلُول "فقد أخبرنا النبي ﷺ عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم أنها تشتعل عليه ناراً في قبره" (٣)

فعن أبي هريرة ؓ قال: أهدى رجل لرسول الله ﷺ غراماً يقال له مِذْعَم فبينما مدع يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا أصابه سهم عائر فقتله فقال الناس: هنيئاً له الجنة فقال الرسول ﷺ "كلا والذي نفسي بيده إذ الشملة التي أخذها يوم خيبر من المنى ثم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً... الحديث. (٤)

٣- عذاب الميت بالبكاء عليه :

اختلفت أقوال العلماء في إثبات عذاب الميت بالبكاء عليه أو نفيه وحبستهم في ذلك ما رواه عمره ؓ قال: قال رسول الله ﷺ : أن الميت يُعَذَّب ببعض بكاء أهله عليه" فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها بعد موت عمره ؓ

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من الكبائر ألا يستتر من بوله، صحيح مسلم، كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ح/١١١/٢٩٢.
(٢) الغلُول: الخيانة، واصلة السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الطهارة ص ٢٥١.

(٣) الروح ص ١٢٩.

(٤) الحديث رواه البخاري/ كتاب الجنائز/ باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته ح/١٢٨٨.

فقالت: رحم الله عمر والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله ليعذب المؤمن ببعض بكاء أهله عليه ولكن رسول الله ﷺ قال: "إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه" وقالت حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(١)

واختلاف العلماء حول هذا الحديث يتمثل في نقطتين هما:

١- هل قال النبي ﷺ هذا الحديث أم لا؟

٢- كيف يعذب الميت بالبكاء عليه والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)

قال ابن حجر: إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه إذا كان ذلك من سنته لقوله تعالى ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٣) وقوله ﷺ "كلكم راع ومسئول عن رعيته"^(٤) فإذا لم يكن من سنته فهو كما استدلت عائشة رضي الله عنها بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

كما أيد ذلك القرطبي بقوله: "قال علماؤنا أو أكثرهم إنما يُعَذَّبُ الميت ببكاء الحي إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره كما ورد من قول القائل: إذا أنا مت فانعيني بما أنا أهله.. وشقي عليَّ الجيب يا ابنه معبد وكذلك إذا

(١) سورة الإسراء: آية ١٥.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٥.

(٣) سورة التحريم: آية ٦.

(٤) فتح الباري ج ٣ ص ١٥٠. سنن الترمذي ج ٣ ص ٣٢١.



وصي به" (١)

وممن أيد هذا الرأي أيضاً القاضي عبد الجبار: ويتجلى في ذلك في قوله "وتعذيب القبر بذنب الغير ظلم، والله تعالى لا يفعل ذلك، وتفسير قوله ﷺ أن الميت يعذب علي بكاء أهله أي علي الوصية بذلك، فكان من عادة القوم الوصية بالبكاء والنوح عليهم." (٢)

وقيل أن الميت يصيبه عذاب بكاء الحي عليه وأن لم يكن من سنته ولا من اختياره ولا مما أوصي به واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها: ما روى عن أبي صالح عن عمر قال: لما طعن عمر أغمى عليه فصيح عليه فلما أفاق قال: أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: " أن الميت يعذب ببكاء الحي " (٣)

ومن الأدلة التي استدل بها أصحاب هذا الرأي أيضاً حديث النعمان بن بشير قال: أغمى علي عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي وتقول: واجبله. وكذا وكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه وهذا لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة، ولا من اختياره ولا مما أوصي به فصابه في الدين أجل وأرفع من أن يأمر بهذا أو

(١) التذكرة ص ١١٢.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٧٣٢.

(٣) صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

يوصي به. (١)

الأسباب المنجية من عذاب القبر :

١ - من مات مرابطاً في سبيل الله (٢)

عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: "كل ميت يختم علي عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله. فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر" (٣)

٢ - الشهيد

فقد ورد عن النبي ﷺ أن من خصال الشهيد عند الله تعالى أنه يجار من عذاب القبر ففي حديث المقدادين معد يكرب" قال قال رسول الله ﷺ: " للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر... الحديث" (٤) وقد ورد أن سبب نجاة الشهيد من فتنة القبر أنه "قد أمتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيف علي رأسه فلم يفر، فلو كان منافقاً لما صبر لبارقة السيف علي رأسه، فدل علي أن إيمانه هو الذي

(١) التذكرة صد ١١٣.

(٢) الرباط هو: الملازمة في سبيل الله لثغر من ثغور المسلمين أما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرّون ويكتسبون هناك منهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة صد ١٦٩.

(٣) سنن أبي داود/ كتاب الجهاد، باب فضل الرباط ح/ ٢٥٠٠.

(٤) سنن أبي داود/ كتاب الجهاد، باب فضل الرباط ح/ ٢٥٠٠.



حمله علي بذل نفسه لله وتسليمها له، وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله وإظهار دينه واعتزاز كلمته وقد أظهر صدق ما في ضميره من حيث برز للقتل فاستغني بذلك عن الامتحان في قبره.^(١)

قال القرطبي: وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً وأعظم أجراً فهو أخرى ألا يفتن؛ لأنه المقدم ذكره في التنزيل علي الشهداء في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(٢) وقد جاء في المرباط الذي هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد.^(٣)

واعترض ابن القيم علي ذلك بقوله: "والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره"^(٤)

الاستعاذة من عذاب القبر :

ومن الأمور المنجية من عذاب القبر الاستعاذة منه فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يستعيذ منه في صلاته وفي غيرها وكان يأمر صحابته بذلك ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ "تعوذ بالله من عذاب القبر"^(٥)

(١) الروح صد ١٣٧، ١٣٦.

(٢) سورة النساء: آية ٦٩.

(٣) التذكرة صد ١٧٢.

(٤) الروح صد ١٣٧.

(٥) رواه مسلم مطولا كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة

أو النار ح/٦٧/٢٨٦٧.

ومن ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم أني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال" ^(١)

وقد ذكر ابن قيم الجوزية أن من أنفع الأسباب المنجية من عذاب القبر إجمالاً هي "أن يجلس الرجل قبل نومه ساعة يحاسب نفسه فيها علي ما عمل في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله وينام علي تلك التوبة ويعزم علي ألا يعاود الذنب إذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات علي توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاتته وليس للعبد أنفع من هذه النومة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم... فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك. ^(٢)

هل تعاد الروح إلى الجسد في القبر؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة آراء رئيسية هي:

١ - رأي أهل السنة :

"إن الميت يكون في نعيم و عذاب وذلك يحصل لروحه ولبدنه يقول

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب يستعاذ منه في الصلاة ح/٥٨٨.

(٢) الروح ص ١٣٢.

الإمام ابن تيمية " النعيم والعذاب يقع على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة تتعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصلة بها فيكون العذاب والنعيم عليهما في هذه الحال مجتمعين " (١) كما جاء في شرح الطحاوية أن " عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة " (٢).

أدلة أصحاب هذا الرأي :

استدل أصحاب هذا الرأي بما ورد عن النبي ﷺ من أحاديث كثيرة تفيد وقوع العذاب والنعيم على الروح والجسد معاً ومنها:

١ - حديث سؤال الملكين للميت عن دينه وربيه ونبيه . أما المؤمن فيقول: " ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ . فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له في الجنة ، وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويوسع له مد بصره وأن الكافر يسأل عن ربه ودينه ونبيه فيقول : ها ها لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار الحديث " (٣).

قال ابن تيمية : " فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد .

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ج ٤ ص ١٧٤ ط. دار الوفاء ط ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ٣٣٤ .

(٣) سنن الترمذي / كتاب الجنة ، باب ما جاء في عذاب القبر ح / ١٠٧١ .

وهذا بيّن في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين ^(١).

٢ - ما ورد في سنن أبي داود عن البراء بن عازب في حديث عن سؤال الملكين للميت ذكر فيه " ثم تعاد فيه الروح " ^(٢).

الرأي الثاني :

أن النعيم والعذاب في البرزخ يقع على الروح دون البدن وهو رأي ابن حزم الظاهري والفخر الرازي ومن وافقهم، واستدل أصحاب هذا الرأي على قولهم بعدة أدلة منها :

١ - أن الله تعالى ذكر في كتابه الكريم أماتيين وإحياءين ولو كان العذاب في القبر يقع على الروح والبدن لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثة وأحيانا ثلاثة وهذا باطل وخلاف للقرآن إلا ما جاء معجزة ^(٣).

٢ - قوله تعالى في حق الشهداء: ﴿وَلَا تَحْصِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ^(٤).

(١) مجموع الفتاوي ج ٤ ص ١٧٨ .

(٢) سنن أبي داود كتاب السنة ، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ح / ٤٧٥٣ ، دار الريان للتراث ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم القاهري الأندلسي ج ٤ ص ٥٦ ط. مكتبة السلام العالمية - القاهرة .

(٤) سورة آل عمران آية ١٦٩ .

وهذا الرزق يكون للأرواح ولا يكون إلا في الجنة ^(١).

٣ - أن النبي ﷺ قد أخبر " أنه رأى الأرواح ليلة أن سرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام أرواح أهل السعادة ، وأرواح أهل الشقاء عن شماله، وخاطب عليه السلام يوم بدر القتلى من المشركين ، وأخبر أنهم وجدوا ما توعدهم به حقاً قبل أن يكون لهم قبور فقال المسلمون : يا رسول الله أتخاطب قوماً قد جيفوا. فقال عليه السلام: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد جيفوا وأعلمهم أنهم سامعون ، فصح أن ذلك لأرواحهم فقط بلا شك أما الجسد فلا حس له ^(٢).

ويقول الإمام فخر الدين الرازي في تأييده لهذا الرأي :

" حيث إن الإنسان جوهر لطيف نوراني ساكن في هذا البدن فبعد خراب هذا البدن إن كان كاملاً في قوله العلم والعمل كان في غبطة والسعادة، وإن كان ناقصاً كان في البلاء والعذاب ، والدليل على ذلك ما ورد في حق السعداء من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فَرَحِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿ ^(٣).

وما ورد في حق الأشقياء من قوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا

(١) الفصل ج ٤ ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٩ ، ١٧٠ .

غُدُوا وَعَشِيًّا ﴿١﴾، وقوله تعالى : ﴿ أَغْرَقُوا فَأَنضَلُوا نَاراً ﴾ (٢).

الرد على هذه الشبهات:

يقول الإمام ابن القيم في رده على هذه الشبهات:

١ - إن المراد بالحياة الثانية في القبر أنها حياة لا تنفَى إطلاق اسم الميت عليه بل هي أمر متوسط بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما وعلى ذلك.

من ظن أن الميت يحيا في قبره إن أراد بها الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ، ويحتاج معها إلى الطعام والشراب فهذا خطأ، والعقل والشرع يكذبه ، وإن أراد بها حياة أخرى غير هذه الحياة وإعادة أخرى غير هذه الإعادة المألوفة في الدنيا للسؤال والامتحان في القبر فهذا حق ونفيه خطأ " (٣).

٢ - أما استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ (٤)، وقولهم إن الميت لو كان يحيا في قبره لكان الله تعالى قد أماننا ثلاثاً وأحياناً ثلاثاً وهذا خلاف ما أثبتته القرآن الكريم ، فالجواب عنه أنه

(١) سورة غافر آية ٤٦ .

(٢) سورة نوح آية ٢٥. انظر أصول الدين للإمام فخر الدين الرازي ص ١٢١ ط. مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) انظر الروح ص ٧٥ .

(٤) سورة غافر آية ١١ .

يحتمل أن الحياة الثالثة لم تذكر ؛ لأنها أمر مفهوم .

يقول ابن القيم في الرد على استدلالهم بهذه الآية : "إن هذا لا ينفي ثبوت هذه الإعادة العارضة للروح في الجسد، كما أن قَتِيل بني إسرائيل الذي أحياه الله بعد قتله ثم أماته لم تكن تلك الحياة العارضة له للمسائلة معتداً بها فإنه حي لحظة بحيث قال: فلان قتلني ثم خر ميتاً فلم تكن تلك الحياة العارضة له للمسائلة له معتداً بها ، ولهذا لم تذكر" (١).

٣ - أما قوله تعالى في حق الشهداء: أنهم أحياء عند ربهم يرزقون. فإن هذا يكون في الدنيا بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ وهؤلاء الذين لم يلحقوا بهم لا يزالون بلا شك أحياء لم يموتوا .

٤ - أما استدلالهم بإخبار الرسول ﷺ بأنه رأى الأرواح ليلة أسري به فهذا لا ينفي اتصال الروح بالبدن للعذاب أو النعيم فالروح لها اتصال بالبدن صعوداً أو هبوطاً في زمن يسير " فإنها وإن فارقت وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً . بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة فهناك من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم" (٢). فليس صعود الروح وهبوطها وقربها بوعدها من جنس ما للبدن.

(١) الروح ص ٧٥ .

(٢) الروح ص ٧٦ .

٥ - أما استدلالهم بقول الصحابة للنبي ﷺ في قتلى بدر: كيف تخاطب قوماً قد جيفوا مع إخبارهم بسماعهم كلامه " فإن ذلك لا ينفي رد أرواحهم إلى أجسادهم في ذلك الوقت رداً يسمعون به خطابه بطريقة نعجز عن إدراكها بحواسنا " (١).

الرأي الثالث :

وهو رأي ابن جرير الطبري والكرامية يقولون : " إن السؤال والنعيم والعذاب يكون للبدن بلا روح " (٢). وإن الله تعالى يخلق فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلز ويألم ، وهذا فاسد؛ لأن الألم والإحساس إنما يكونان عادة في الحي ولا حياة عادة إلا بالروح ، وكذلك لما ثبت من نصوص كثيرة تفيد وقوع العذاب والنعيم على الروح والجسد معاً ، ومنها قوله تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٣).

فهذا العرض يكون في القبر بدليل قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴾ (٤).

فلا شيء بعد الموت وقبل الساعة إلا فترة البرزخ .

(١) المرجع السابق ص ٧٩ .

(٢) انظر حاشية محمد بن الأمير على شرح عبد الله بن إبراهيم المالكي لجوهرة التوحيد ص ١٤٢ .

(٣) سورة آية .

(٤) سورة آية .

الحكمة من عدم سماع الإنسان لعذاب القبر:

وفي عدم سماع الإنسان عذاب القبر حكم عظيمة منها :

١- ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : "لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن

يسمعكم من عذاب القبر". (١)

٢- أن في إخفائه سترًا للميت وعدم إزعاج لأهله، وعدم تخجيلهم.

٣- أن سماع عذاب القبر يمكن أن يؤدي إلى الهلاك فصيحة المعذب

ربما يؤدي إلى موت الإنسان الحي أو الإغماء عليه (٢)

٤- "لو أطلع الله العباد على ذلك لزالَّت حكمة التكليف والإيمان

بالغيب". (٣) ولأصبح الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة لا من باب

الإيمان بالغيب وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان لأن الناس سوف يؤمنون بما

شاهدوه قطعاً (٤) "ولما كانت هذه الحكمة منتقية في حق البهائم سمعت

وأدركت" (٥)

حياة الشهداء في البرزخ :

(١) صحيح مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب عرض مقعد الميت من الجنة

والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه - ح ٢٨٧٦ .

(٢) أنظر شرح العقيدة الواسطية ص ٤٨٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥ .

(٤) شرح العقيدة الواسطية ص ٤٨٣ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٦ .

قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١)

﴿وَلَا تَخْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٢) وقد اختلف العلماء في حقيقة حياة الشهداء في القبور هل هم أحياء بعد الموت مباشرة في القبر؟ أو أن معني حياتهم هو ذكرهم الجميل في الدنيا أم أن من وقت استشهادهم إلي يوم القيامة تكون مدة قصيرة عليهم إلي آخر مثل هذه الأقوال.

قال الإمام فخر الدين الرازي: "أنهم في الوقت إحياء كأن الله تعالى أحياءهم لإيصال الثواب إليهم وهذا قول أكثر العلماء، وهذا دليل علي أن المطيعين يصل ثوابهم إليهم وهم في القبور، فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصح ما ذهبتم إليه؟ فالجواب أن البنية ليست شرطاً في الحياة ولا امتناع في أن يعيد الله الحياة إلي كل واحد من تلك الذرات والأجزاء الصغيرة من غير حاجة إلي التركيب والتأليف." ^(٣) كما يؤيد القول بهذا الرأي وجوه أخرى منها:

١- الآيات الدالة علي عذاب القبر كقوله تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ

(١) سورة البقرة: آية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٩.

(٣) التفسير الكبير ج ٣ ص ١٥٤.

وَأُخِيَّتَنَا اثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١﴾ ﴿أُغْرِقُوا
فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ (٢) وإذا ثبت عذاب القبر وجب القول بثواب القبر أيضاً، لأن
العذاب حق لله تعالى علي العبد، والثواب حق للعبد علي الله تعالى، فإسقاط
العقاب أحسن من إسقاط الثواب.

٢- أن قوله تعالى ﴿وَيَسْتَنْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (٣) دليل علي
حصول الحياة في البرزخ قبل البعث.

٣- أنه قد ثبت في أحاديث كثيرة أن القبر يكون روضة من رياض
الجنة، أو حفرة من حفر النار، كما ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ من عذاب
القبر والأحاديث في ثواب القبر وعذابه كالمتواتر (٤)

وقال أبو القاسم الكعبي من المعتزلة: "أنهم سيصيرون في الآخرة
أحياء؛ وذلك لأن المنافقين الذين حكى الله عنهم ما حكى كانوا يقولون
أصحاب محمد ﷺ يعرضون أنفسهم للقتل فيقتلون ويخسرون الحياة ولا يصلون
إلي خير، وإنما كانوا يقولون ذلك لجحدهم البعث والميعاد، فكذبهم الله تعالى
ويبين بهذه الآية أنهم يبعثون ويرزقون ويصل إليهم الفرح والسرور

(١) سورة غافر: آية ١١.

(٢) سورة نوح: آية ٢٥.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٧٠.

(٤) التفسير الكبير ج٣/١٣٣.

٣- وقال بعض المفسرين أن أرواح الشهداء أحياء وهي تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة بدليل قوله تعالى ﴿أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ولفظ عند كما أنه مذكور هنا مذكور كذلك في صفة الملائكة في قوله تعالى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَّا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾^(٢) فكما أن السعادة حاصلية للملائكة لكونهم عند الله كذلك السعادة حاصلية للشهداء لكونهم عند الله.^(٣)

٤- ليس المراد من كونهم أحياء حصول الحياة فيهم بل المراد بعض المجازات وبيانه من وجوه الأول:

قال الأصم البلخي: أن الميت إذا كان عظيم المنزلة في الدين وكانت عاقبته يوم القيامة البهجة والسعادة والكرامة صح أن يقال انه حي وليس بميت كما يقال للجاهل الذي لا ينفع نفسه ولا ينفع به أحد انه ميت وليس بحي... فلاشك أن الإنسان إذا خلف ثناءً جميلاً وذكرًا حسنًا فإنه يقال علي سبيل المجاز أنه ما مات بل هو حي^(٤)

٥- وقال القرطبي: أن الصحيح من الأقوال أن أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتعمون واستدل علي ذلك

(١) التفسير الكبير ج ٧٣.

(٢) سورة الأنبياء: آية ١٩.

(٣) التفسير الكبير ج ٥ ص ٧٦.

(٤) التفسير الكبير ج ٧٦.

بحديث ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ "لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلي قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقبلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا إنا أحياء في الجنة نُرزق لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا يتكلوا عن الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم قال: فأُنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾^(١) وما صح به النقل فهو الواقع، وحديث ابن عباس نصه يرفع الخلاف^(٢) وأيد شارح الطحاوية هذا الرأي بقوله أن الحكمة في كون أرواحهم في حواصل طير خضر أنهم "لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلّفها أعداؤه فيه، أعضاهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلي يوم القيامة، ويكون تعليمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعيم الأرواح المجردة عنها ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير فتدخل في عموم أوصاف أرواح المؤمنين فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات علي فرشهم".^(٣)

(١) سنن أبي داود، ح ٢٥٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج ٥ ص ٤٠٩.

(٣) شرح الطحاوية للعقيدة السلفية للإمام محمد بن أبي العز الحنفي ص ٣٨١.

فهرس المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانياً :

- (١) الله والإنسان لعبد الكريم الخطيب ط. دار الفكر العربي .
- (٢) الأصول والفروع لابن حزم الأندلسي، ت جماعة من العلماء ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
- (٣) أبكار الأفكار في أصول الدين للإمام سيف الدين الأمدي ت د. أحمد المهدي، ط دار الكتب والوثائق القومية القاهرة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.
- (٤) الإسلام يتحدى أ. وحيد الدين خان - ترجمة ظفر الدين خان ط. المختار الإسلامي - القاهرة ١٩٧٣ .
- (٥) التمهيد في أصول الدين أو التمهيد لقواعد التوحيد للإمام أبي المعين النسفي الحنفي الماتريدي، ت الشيخ محمد عبد الرحمن الشاغول الشافعي الأشعري، ط المكتبة الأزهرية للتراث.
- (٦) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي ط: مكتبة زهران، القاهرة.
- (٧) تحفة المرید علي جوهرة التوحيد: لشيخ الإسلام إبراهيم بن محمد البيجوري، وبهامش جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني وتقريرات لأحمد

الأجهوري ط مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م.

٠م

(٨) التعريفات للجرجاني علي بن محمد بن علي، ت إبراهيم الإبياري ط دار الكتاب العربي ط ١ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

(٩) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ١ ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.

(١٠) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لشمس الدين أبي عبد الله القرطبي نشر: مكتبة الدعوة بالأزهر القاهرة.

(١١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ إسماعيل بن كثير .

(١٢) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ط مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.

(١٣) حاشية محمد بن الأمير علي شرح عبد السلام ابن إبراهيم المالكي علي جوهرة التوحيد ط مطبعة عيسى اليابى الحلبي القاهرة.

(١٤) حاشية علي شرح أم البراهين لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي وبهامشه شرح أم البراهين ط مطبعة مصطفى اليابى، حقائق الموت في القرآن الكريم د. أحمد صبحي منصور ط دار الشرق الأوسط القاهرة ١٤١١ هـ

١٩٩٠م. الحلبي الطبعة الأخيرة ١٣٥٨ هـ ١٩٨٥م.

(١٥) دلالات المصطلح في التصوف الإسلامي د. إبراهيم محمد ياسين ط. دار المعارف ١٩٩٩ .

(١٦) الروح للحافظ شمس الدين بن العيم الجوزية، ت محمد فريد، ط المكتبة التوقيتية القاهرة.

(١٧) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ط دار الريان للتراث القاهرة.

(١٨) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية لقاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي أحمد شاکر ط مكتبة التراث القاهرة.

(١٩) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق الإمام الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د. عبد الكريم عثمان ط: مكتبة وهبه القاهرة ط ٢ / ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

(٢٠) شرح جوهرة التوحيد المسمي إتحاف المريد بجوهرة التوحيد للشيخ عبد السلام القاني، ت محمد محي الدين عبد الحميد ط مطبعة السعادة ط ١ / ١٣٣٩ هـ ١٩٤٩م.

(٢١) شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين إعداد فهد بن

ناصر بن إبراهيم السليمان ط دار الثريا للنشر والتوزيع ١٤١٩ هـ
١٩٩٨ م.

(٢٢) شرح المقاصد للعالم الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير بسعد الدين التفتازاني، ت د. عبد الرحمن عميرة، ط عالم الكتب بيروت.

(٢٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ت عصام الصايطي ، حازم محمد عماد، ط دار الحديث القاهرة.

(٢٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

(٢٥) الفصل في الملل والهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي ط مكتبة السلام العالمية.

(٢٦) فتح القدير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمران الزمخشري ط دار المعرفة بيروت لبنان.

(٢٧) لسان العرب لابن منظور ط دار المعارف.

(٢٨) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني.

(٢٩) المواقف للإمام عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي بشرح

الشريف الجرجاني، ت د. عبد الرحمن عميرة ط دار الجيل بيروت ط

١ / ١٤١٧ هـ ١٩٧٧ م.

(٣٠) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة د. محمد السيد الجليند ط.

مكتبة الزهراء - القاهرة .

(٣١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ

حافظ ابن أحمد الحكيمي، ت عمر بن محمود أبو عمر، ط دار ابن القيم

للنشر والتوزيع بالدمام ط ١ / ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

(٣٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ط دار الوفاء ط ١ / ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.